تنبيه الماجد

إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد

صنفه

أبو إسحاق الحويني الأثري

الجزء الأول

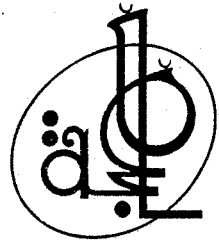

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي نبينا محمد أشرف المرسلين ، وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فقد سبق لي أن نشرت جزءً من هذا الكتاب يحتوي علي خمسمائة تعقب ، وجعلتُهُ طليعة للجزء الرابع من كتابي « **الثمر الداني في الذب عن الألباني** ». وقد أبنتُ فيه عن مقصدي في مقدمته ، التي أثبتها في هذه الطبعة .

وكنتُ قد أرسلتُ هذا الجزء إلي شيخنا أبي عبد الرحمن الألبانيّ رحمهُ الله تعالي مع أحد إخواننا الكويتيين في آخر سَفْرَةٍ لي إليها عام (١٤١٩ هـ) .

واتصلت به بعدها بعدة أشهرٍ أثناء انعقاد أحد المؤتمرات الإسلامية بأمريكا ، وكان الشيخ أيامها مريضاً ، فكلمتُهُ وسألتُهُ عن الكتاب ـ وهل قرأهُ ، فقال : «نعم قرأتُهُ ، وهو كتابٌ جيدٌ ، زادك الله توفيقاً » . فرحم الله شيخَنا ، ورفع مقامَهُ . ثمَّ خطرَ لي أن أجعله كتاباً مستقلاً ، فجمعتُ مادته من مصنفاتي التي لم تطبع ، ومما عَرَضَ لي أثناء تحقيقاتي وتخريجاتي ، فجاء كتاباً حافلاً في ستة مجلدات والحمدُ لله . ولقد وجدتها فرصة سانحة لي أن أثبت فيه بعض مصنفاتي القديمة ، والتي فقدت جزءً منها ، فلم أنشط للنظر فيها ، لأنها تحتاج إلي جهد جهيد ، ووقت مديد ، وعزمٍ حديد ، لا أجد له من فراغ البال ما يمكنني من إتمام النقص الواقع فيه مثل كتابي « **إتحاف الناقم بوهم أبي عبد الله الحاكم** » . وكنتُ أحصيتُ أنواع الأوهام التي وقعت للحاكم في « المستدرك » فتجاوزت خمسة عشر نوعاً : **منها ما** قال فيه : «علي شرطهما أو أحدهما و لم يخرجاه» ويكونا قد أخرجاه . فهذه ثلاثة أنواع . **ومنها ما** قال فيه : «علي شرطهما » وهو علي شرط واحدٍ منهما . **ومنها ما** قال فيه : « علي شرط البخاريّ » ويكون علي « شرط مسلم » والعكس . **ومنها ما** قال فيه : «علي

شرطهما أو علي شرط أحدهما » وليس كذلك ، بل ليس صحيحاً ، وقد يكون ضعيفاً أو باطلاً أو موضوعاً . **ومنها ما** يصححه مطلقاً وليسَ بصحيحٍ أصلاً ، **ومنها ما** قـــال فيه : « أخرجاه أو أحدهما مختصراً » ويكونا قد أخرجاه أو أحدهما بأوفي من سياقه . إلي آخر هذه الأوهام. وقد ظفرتُ بنحو مجلدٍ ونصف من هذا الكتاب ، فرأيتُ نشر ما ظفرتُ به . وكذلك كتابي «**الجزم بشذوذ ابن حزم** » وهو من أوائل ما صنَّفتُ ، وقد وضعتُهُ ذبّاً عن رواةٍ معروفين ، زعم ابنُ حزمٍ أنهم مجاهيلُ . ولم أتعرض فيه للرواةِ الذين ضعَّفَهُم ابن حزم في كتبه . وقد ظفَرتُ بقدرٍ صالحٍ من هذا الجزء . فرأيتُ أن أنشره أيضاً . هذا ، وقد رفعتُ من المجلد الأوَّل عدَّة تعقبات ، إما لأنها تكررت سهواً مني ، أو لأنني أعدتُ النظر فيها، ورأيت وجه التعقب فيها ضعيفاً ، إلي غير ذلك من الأسباب ، وهاك أرقامها (٨ ، ٦٣ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٦ ، ٤٥٤ ، ٤٨٥) . وقد أضفتُ كثيراً من الفوائد والتخريجات علي أغلب تعقبات الجزء الأول نصيحة للمسلمين ، وأداءً لحقِّ العلم ، وكنتُ أرجو ألاَّ أثبت حديثاً إلاَّ وأتكلم عليه بالصحة أو الضعف ، وقد حاولتُ ذلك في مواضع شتي من الكتاب، ولكن الذي أغراني بإهمال ذلك أنني وضعتُ كتابي لغرضٍ آخر ، ولعلي استدرك ذلك في طبعةٍ قادمةٍ إن شاء الله تعالي . وأوصي أهل العلم أن يكتبوا لي ما يجدونه من تنبيهات ستكون موضع العناية والدرس مني، ولهم شكري سلفاً . ثم إنني أخيراً أشكر أخانا في الله أحمد بن عطية الوكيل علي عنايته بمراجعة تجارب الكتاب ووضع فهارسه الرائقة في خاتمةِ كل جزء . والحمد لله أولاً وأخراً ظاهراً وباطناً .

وكتبه : أبو إسحاق الحويني الأثري

السبت ١٨ / ربيع الآخر / ١٤٢٣ هـ . ٢٩ / يونيو / ٢٠٠٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

إن الحمد للّه تعالى نحمده ، ونستعينُ به ونستغفرُهُ ، ونعوذ باللّه تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد اللّه تعالى ، فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه .

﴿ يأأيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ ياأيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربكُمُ الَّذي خَلَقكُم من نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخلَقَ منها زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيراً ونِساءً واتَّقوا اللهَ ألذي تَساءَلونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عَليكُم رَقِيباً ﴾ [النسَاء : ١].

﴿ ياأيُّهَا الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللّه وقُولوا قَوْلاً سَدِيدَا يُصْلِح لكُم أَعمَالكُم وَيَغفِر لكُم ذنُوبَكُم وَمَنْ يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوْزاً عَظِيمَا ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١]

أَمَّا بَعْـــــدُ

فإن أصدق الحديث كتابُ اللّه تعالى ، وأحسن الهدى هَدْىُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار .

اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، فى العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، فى العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ .

« فالحمدُ للَّه الذى لا يُؤدَّى شُكرُ نعمةٍ من نعمه ، إلاَّ بنعمة منه توجب على مؤدى ماضى نعمه بأدائها : نعمةً حادثةً يجبُ عليه شكرُهُ بها ، ولا يبلُغ الواصفون كُنْهَ عظمته ، الذى هو كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفُهُ به خلقُهُ، أحمده حمداً كما ينبغى لكرم وجهه عزَّ وجلَّ ، وأستعينُه استعانة من لا حول له ولا قوة إلاَّ به ، وأستهديه بهداهُ الذى لا يضلُّ من أنعم به عليه ، وأستغفرُهُ لما أزلفتُ وأخَّرتُ ، استغفار من يُقرُّ بعبوديته ؛ ويعلمُ أنه لا يغفرُ ذنبه ، ولا ينجيه منه إلاَّ هو ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللَّهُ وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه .

فنسأل اللَّه المبتدئَ لنا بنعمهِ قبل استحقاقها ، المديمَهَا علينا مع تقصيرنا فى الإتيان على ما أوجب به من شكره بها ، الجاعلَنَا فى خير أمةٍ أخرجت للناس ، أن يرزقنا فهماً فى كتابه ، ثمَّ سنة نبيِّه ، وقولاً وعملاً يؤدى به عنا حقَّهُ ، ويوجبُ لنا نافلةَ مزيده »[1] .

فإنَّ اللَّه ـ جلَّ ثناؤهُ ـ لَمَّا خلق الناسَ ، ركز فى فطرهم محبة الإحسان ، والخضوع له ، وكرِهَ لهم الكبر والعلوَّ فى الأرض بغير الحقِّ .

فقال جلَّ ثناؤه : ﴿ **هل جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسانُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠].

يعنى : لا ينبغى أن يكون جزاءُ الإحسان إلاَّ من جنسهِ ، فليس لمن أحسن

---

(١) اقتباسٌ من كلام الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعىّ رحمه اللَّه ورضى عنه فى مقدمته لكتابه « الرسالة » ؛ تحقيق المحدث النبيل ابى الأشبال أحمد شاكر رحمه اللَّه .

العمل فى الدنيا إلاَّ الإحسان إليه فى الآخرة .

وما أجمل قول القائل : ليس هناك حِمْلٌ أثقل من البر ، من بَرَّكَ فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك . فإن أردت استرقاق إنسانٍ ؛ فأحسن إليه ، فيكونُ ذلك مانعًا إياه أن يوصل السيئة إليك .

ومما يدلُّك على صحة ما أقول من أن محبة الإحسان ، والخضوع لأهله مركوزٌ فى فطر الناس ؛ حتى الكافر ؛ ما أخرجه البخارىُّ (٥ / ٣٢٩ - ٣٣٣) ، وأحمد (٤ / ٣٢٤ ، ٣٢٩) وغيرُهما من حديث المسور بن مخرمة رضى اللَّه عنه ، فذكر حديثه فى « صلح الحديبية » وفيه :

« فقام عروةُ بنُ مسعود الثقفى ، فقال : أيْ قوم ! ألستم بالوالد ؟ قالوا: بلى ، قال : أولستُ بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهمونى ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ، فلمَّا بلَّحُوا علىَّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإنَّ هذا قد عرض عليكم خُطَّة رشْدٍ ؛ اقبلوها ودعونى آته . قالوا : ائته . فأتاهُ ، فجعل يكلم النبىَّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ نحوًا من قوله لبُديلٍ[1] ، فقال عروةُ عند ذلك : أيْ محمدٌ ! أرأيت إن استأصلت أمر قومكَ ، هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإنْ تكن الأخرى ، فإنى - واللَّه ! - لا أرى وجوهًا ، وإنى لأرى أشوابًا - وفى رواية : أوباشًا - من الناس ، خليقًا أن يفروا ويدعوك .

---

(١) قال النبىُّ ﷺ لبُديل بن ورقاء الخزاعى : « **إنا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ ، ولكنَّا جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نَهِكتهم الحربُ وأضرَّتْ بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مُدَّةً ، ويُخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلاَّ فقد جَمُّوا ، وإن هم أبوا ، فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى ، ولينفذنَّ اللَّه أمره** » فقال بُديلٌ : سأبلغهُم ما تقول .

فقال له أبو بكرٍ رضى اللَّه عنه : امصُصْ بظر اللاَّت ؛ أنحنُ نفرُّ ونَدَعَهُ ؟

فقال عروةُ : من ذا ؟

قالوا : أبو بكرٍ !

قال : أما والذى نفسى بيده ! لولا يدٌ كانت لك عندى لم أَجْزِكَ بها لأجبتُك .. الحديث » .

وأخرج بعضه : أبو داود (٢٧٦٥) ، والنسائىُّ فى « الكبرى » - كما فى « أطراف المزى » (٨/ ٣٨٣) - وغيرهما .

فانظر - يرحمك اللَّهُ من مُنصفٍ - قول عروة لأبى بكرٍ ، فما منعه من الردِّ عليه، وقد بالغ فى عيب آلهتهم ، إلاَّ أنه كان أسير الإحسان المتقدِّم من أبى بكرٍ له . وقد ورد فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى فى هذا الحديث أن عروة قال لأبى بكرٍ : « لولا يدٌ لم أجزك بها ، ولكن هذه بها » كأنه قال له : هذه الإساءةُ منك إلى آلهتنا ، قد استوفيت بها جميلَكَ السابق عندى ، فلم يبق لك حسنةٌ تمنعنى من الرد عليك فى قابلٍ إذا أسأت إلىَّ .

وأمَّا من جفاك ، وأساء إليك فما استُودِعَ يداً تمنعه من ردِّ السيئة بمثلها وزيادة ، لذلك كان طليقًا لا يوقفه شىءٌ .

وإذ الأمرُ كذلك ، والوفاءُ سجيَّةٌ وخُلُقٌ ، فما أعلمُ أحداً - بعد والدىَّ - له علىَّ يدٌ مثل شيخنا الشيخ الإمام ، حسنة الأيام ، وريحانة بلاد الشام ، أبى عبد الرحمن محمد ناصر[1] الدين الألبانى ، ألبسه اللَّه حُلل السعادة وكافأه

---

(١) توفي شيخنا رحمه الله ورضي عنه يوم السبت ٢٢ / جمادي الآخرة / ١٤٢٠ هـ الموافق ٢ / ١٠ / ١٩٩٩ بعد عصر هذا اليوم ، فاللهم ارض عنه واغفر له وارحمه كقاء ما قدَّم للمسلمين من تقريب السنَّة والذب عنها

بالحسنى وزيادة ، إذ الاطلاعُ على كتبه كان فاتحة الخير العميم لى ، وأبدأ الحديث أسوقُهُ من أوَّلِه .

ففى صيف عام (١٣٩٥هـ) كنت أصلى الجمعة فى مسجد « عين الحياة » ، وكان إمامُهُ إذ ذاك : الشيخ عبد الحميد كشك(١) - حفظه اللّه تعالى - ، وكان تجار الكتب يعرضون ألوانًا شتى من الكتب الدينية أمام المسجد ، فكنتُ أطوفُ عليهم ، وانتقى ما يعجبنى عنوانُه ، فوقعت عينى يومًا على كتابٍ عنوانُه : « صفة صلاة النبى ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها » . تأليف : محمد ناصر الدين الألبانى . فراقنى اسمُه . فتناولتُه بيدى ، وقلَّبتُ صفحاته ، ثم أرجعتُه إلى مكانه ، لأنَّه كان باهظ الثمن لمثلي، وكان إذ ذاك بثلاثين قرشًا ! . ومضيتُ أتجوَّل بين بائعي الكتب ، فوقفتُ على كتابٍ لطيف الحجم بعنوان : « تلخيص صفة صلاة النبى ﷺ » ففرحتُ به فرحةً طاغيةً ، ولم أتردد فى شرائه ، وكان ثمنُه خمسة قروش ، ولم أشتر غيره ، لأنه أتى على كل ما فى جيبى ! ، ومن فرحتي واغتباطى به قرأتُه وأنا أمشى فى طريقى إلى مسكنى ، مع خطورة هذا المسلك على من يمشى فى شوارع القاهرة ، ولما أويتُ إلى غرفتى تصفَّحْتُ الكتاب بإمعانٍ ، فوجدتُه يدقُّ بعنفٍ ما ورثتُه من الصلاة عن آبائى ، إذ إنَّ كثيرًا من هيئتها لا يُمتُّ إلى السُّنة بصلةٍ ، فندمتُ ندامة الكُسعيِّ (٢) أننى لم أشتر الأصل ، وظللت

---

(١) ثم توفى الشيخ رحمه اللّه فى رجب (١٤١٧هـ) فاللَّهم اغفر له وارحمه ، وارض عنه كفاء ما نافح عن دينك ، وما جاهر بكلمة الحقِّ .

(٢) وفي « لسان العرب » (٤ / ٣٨٧٦) قال : « والكُسعي الذي يُضرب به المثل في الندامة ، وهو رجلٌ رامٍ رمي بعد ما اسدف الليل عيراً فاصابه ، وظنَّ انه اخطاه ، فكسر قوسه ، وقيل : وقطع اصبعه ثم ندم من الغد حين نظر إلي العير مقتولاً وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل نادمٍ علي فعل يفعله ، وإياه عني الفرزدق لما قال:

أحلم بيوم الجمعة المقبل - وأدبِّرُ ثمن الكتاب طول الأسبوع - ، وأنا خائفٌ وجلٌ أن لا أجده عند بائعه ، وكنتُ أدعو اللَّه أن يطيل فى عمرى حتى أقرأه ، ومَنَّ اللَّه علىَّ بشرائه ، فلمَّا تصفَّحتُه ؛ ألقيتُ الألواح ، ولاح لى المصباحُ من الصباح ! وهزَّنى هزًّا عنيفًا ، لكنه كان لطيفًا ؛ مقدمتُه الرائعة الماتعةُ فى وجوب اتباع السُّنة ، ونبذ ما يخالفُها تعظيمًا لصاحبها ﷺ ، ثُمَّ نقولُه الوافيةُ عن أئمة المسلمين ، إذ تبرأوا من مخالفة السنة أحياءً وأمواتًا ، فرضى اللَّهُ عنهم جميعًا ، وحشرنا وإياهم مع الصادق المصدوق - بأبى هو وأمى - وقد لفت انتباهى جدًّا حواشى الكتاب - مع جهلى التام آنذاك بكتب السنة المشهورة فضلاً عن غيرها من المسانيد والمعاجم والمشيخات وكتب التواريخ ، بل لقد ظللت فترة فى مطلع حياتى - لا أدرى طالت أم قصرت - أظنُّ أن البخارىَّ صحابىٌّ ، لكثرة ترضى الناس عنه .

وعلى الرغم من عدم فهمى لما فى حواشى الكتاب ، إلاَّ أننى أحسستُ بفحولةٍ وجزالةٍ لم أعهدها فى كل ما قرأتُهُ ، فَمَلَكَ الكتابُ علىَّ حواسىّ ، وصرتُ فى كلِّ جمعةٍ أبحث عن مؤلفات الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، ولم تكن مشهورةً عندنا فى ذلك الوقت ، لكساد الحركة العلمية ، فوقفتُ بعد شهرٍ تقريبًا على جزءٍ من « سلسلة الأحاديث الضعيفة » - المائة حديث الأولى ، فاشتريتُه فى الجمعة التى تليها لأتمكن من تدبير ثمنه .

أمَّا هذا الكتابُ فكان قاصمةَ الظهر التى لا شوى لها ! ، وهو الذى رغَّبنى فى دراسة علوم الحديث .

= ندمتُ ندامة الكُسعي لمَّا غدت مني مطلقة نوارُ

وقولُ الآخر :

ندمتُ ندامة الكُسعي لمَّا رأت عيناه ما فعلت يداه . »

وذكر ابنُ منظور سبباً آخر .

قلتُ : إنَّ الحركة العلمية كانت هامدةً فى ذلك الوقت ، وكلُّ من تصدَّر لوعظ الناس فهو عندنا عالمٌ ، فما بالُك بأشهر الواعظين عندنا فى ذلك الزمان - وهو الشيخ كشك - الذى كان له بالغ التأثير فى الناس بحُسن وعظه ، ومتانة لفظه ، وجرأته فى الصدع بالحقِّ ، لم ينجُ منحرفٌ من نقده مهما كان منصبُه ، وكان فى صوته - مع جزالته - نبرة حُزن ، ينتزع بها الدمع من المآقى انتزاعًا ، حتى من غلاظ الأكباد وقُساة القلوب ، فكان هذا الشيخُ العالمَ الأولَ والأخيرَ عندى ، لا أجاوز قوله . وقد انتفعتُ به كثيراً فى بداية حياتى ، كما انتفع به خَلْقٌ ، لكننى لما طالعتُ « السلسلة الضعيفة » وجدتُ أن كثيراً من الأحاديث التى يحتجُّ بها الشيخُ منها ، حتى خُيِّل إلىَّ أنه يُحضر مادَّة خُطبه من هذه « السلسلة » ، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب « إحياء علوم الدين » لأبى حامد الغزالى ، وكان الغزالى - رحمه اللَّه - مزجى البضاعة فى الحديث ، تام الفقر فى هذا الباب !

فعكَّر علىَّ كتابُ الشيخ ما كنتُ أجدُه من المتعة فى سماع خطب الشيخ كشك ، حتى كان يومٌ ، فذكر الشيخُ على المنبر حديثًا عن النبى ﷺ قال : « **إن اللَّه يتجلَّى يوم القيمة للناس عامةً ، ويتجلَّى لأبى بكر الصديق خاصةً**[1] » . فلأول مرَّةٍ أشكُّ فى حديثٍ أسمعُهُ ، وأسأل نفسى : تُرى ! هل هو صحيحٌ أم لا ؟ ومع شكى هذا ، فقد انفعلتُ له ، وتأثرتُ به بسبب صراخ الجماهير من حولى ، استحسانًا وإعجابًا !.

ولما رجعتُ إلى منزلى ، قلَّبتُ « السلسلة الضعيفة » حديثًا حديثًا أبحثُ عن الحديث الذى ذكره الشيخ كشك فلم أجدْه ، فواصلت بحثى ، فبينما كنتُ

---

(١) وهو حديثٌ باطلٌ كما حققتُه عند الرقم (١٥٢٩) من هذا الكتاب ، والحمد لله .

فى بعض المكتبات وقفتُ على كتاب « المنار المنيف » لابن القيم ـ رحمه اللّه ـ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه اللّه ـ ، فوجدتُ الحديث فيه ، وقد حكم الإمامُ عليه بالوضع فيما أذكرُ ، فعزمت على إبلاغ الشيخ بذلك نصيحة للّه تعالى ، وقد كان رسخ عندى أن التحذير من هذه الأحاديث واجبٌ أكيدٌ .

وكان للشيخ كشك جلساتٌ فى مسجده بين المغرب والعشاء ، فذهبتُ فى وقتٍ مبكرٍ لألحق بالصف الأول حتى أتمكن من لقائه فى أوائل الناس ، فلما صلينا جلس الشيخُ على كرسيه فى قبلة المسجد ، وكان له عادة غريبةٌ وهى أنه يمدُّ يده ، فيقفُ الناس طابوراً طويلاً ، فيصافحونه ، ويُقبِّلون يدَهُ وجبهتَهُ ، ويُسرُّ إليه كلُّ واحدٍ بما يريد ، وكنتُ العاشرَ فى هذا الطابور ، فقلتُ فى نفسى : وما عاشرُ عشرةٍ من الشيخ ببعيد !

فلما جاء دورى ، قَبَّلْتُ يده وجبهته ، وقُلتُ له : إنَّ الحديث الذى ذكرتموه فى الجمعة الماضية ـ وسميتُه ـ قال عنه ابنُ القيم أنه موضوعٌ .

فقال لى : بل هو صحيحٌ ، فلما أعدتُ عليه القول ، قال كلاماً لا أضبطه الآن لكن معناه أن ابن القيم لم يُصب فى حكمه هذا ، ولم يكن هناك وقتٌ للمجادلة ، لأن من فى الطابور ينتظرون دورهم !

ومما حزَّ فى نفسى أن الشيخ سألنى عن العلة فى وضع الحديث فلم يكن عندى جوابٌ ، فقال لى : يا بنى ! تعلَّم قبل أن تعترض ، فمشيت من أمامه مستخزيًا ؛ كأنما ديكٌ نقرنى !

وخرجتُ من مسجد « عين الحياة » ولدىَّ من الرغبة فى دراسة علم الحديث ما يجلُّ عن تسطير وصفه بنانى ، ويضيقُ عطنى ، ويكلُّ عن نعته لسانى ،

وكان هذا العلمُ آنذاك شديدَ الغربة ، ولستُ أبالغُ إذا قُلْتُ : إنه كان أغرب من فرسٍ بهماء بغلسٍ !!

وطفقتُ أسألُ كلَّ من ألقاه من إخوانى عن أحدٍ من الشيوخ يشرح هذا العلم ، أو يدلنى عليه ، فأشار علىَّ بعضُ إخوانى - وكان طالبًا فى كلية الهندسة - أن أحضر مجالس الشيخ محمد نجيب المطيعى رحمه اللَّه تعالى وكان شيخُنا - رحمه اللَّه - يلقى دروسه فى « بيت طلبة ماليزيا » بالقرب من ميدان « عبده باشا » ناحية العباسية ، وكان يشرح أربعة كتب ، وهى «صحيح البخارى» و« المجموع » للنووى ، و« الأشباه والنظائر » للسيوطي، و« إحياء علوم الدين » للغزالى ، فوجدت فى هذه المجالس ضالتى المنشودة، ودُرتى المفقودة ، فلزمته نحو أربع سنوات حتى توقفت دروسه بعد الاعتقالات الجماعية التى أمر بها أنور السادات وانتهى الأمر بمقتله فى حادث المنصة الشهير ، ورحل الشيخ - رحمه اللَّه - إلى السودان ، وظلَّ هناك حتى توفى - رحمه اللَّه - بالمدينة ودفن فى البقيع كما قيل لى . رحمه اللَّه تعالى .

وأتاحت لى هذه المجالسُ دراسة نُبذٍ كثيرةٍ من علمَىْ أصول الحديث وأصول الفقه ، وواللَّه ! لا أشتطُّ إذا قلتُ : إننى أبصرتُ بعد العمى لما درست هذين العلمين الجليلين ، وأقرر هنا أن الجاهل بهذين العلمين لا يكونُ عالمًا مهما حفظ من كتب الفروع ، لأن تقرير الحقِّ فى موارد النزاع لا يكونُ إلاَّ بهما ، فعلمُ الحديث يصحح لك الدليل ، وعلمُ أصول الفقه يسددُ لك الفهم ، فهما كجناحى الطائر .

ولم يُكدِّر علىَّ مُتعتى بدروس الشيخ المطيعى رحمه اللَّه إلاَّ حطُّه على الشيخ الألبانى صاحبِ الفضل علىَّ بعد اللَّه عز وجلَّ ، وكان ذلك بعد حادثةٍ طويلة الذيل مُلخصها : أن شيخنا المطيعى - رحمه اللَّه - كان يتكلم عن قضاء

الفوائت ، وأن من لم يصل ولو لسنوات ، فيجب عليه القضاء ، وأطال البحث فى ذلك . فقلتُ له ـ ولم يكن عندى علم بمن يقول بغير هذا المذهب من القدماء ـ قلتُ : إن الشيخ الألبانى يقول : ليس هناك دليلٌ على وجوب القضاء . فقال لى بلهجةٍ ـ علمتُ بعد ذلك بزمانٍ أنه كان يقولها تهكُّمًا : مَنِ الألبانىُّ ؟ فقلتُ له : أحدُ علماء الحديث .

قال : لعلَّه أحدُ أصحابنا الشافعية ؟

قلت : لا أدرى ، لكنه معاصر لنا ، وقد علمت أنه لا يزالُ حيًّا .

فقال لى حينئذٍ : دعك من المعاصرين .

وكانت هذه أول مرة أسمعه يتكلَّم عن الألبانى ، ثمَّ توالى السيلُ .

ثم جاء الشيخ الألبانى إلى مصر فى حدود سنة (١٣٩٦هـ) أو بعدها بقليلٍ ، وألقى محاضرة فى المركز العام لجماعة أنصار السنة فى عابدين ، وكانت محاضرته عن تخصيص السنة لعام القرآن ، وتقييدها لمطلقه ، وذكر من أمثلة ذلك الذهب المحلَّق .

ولم يكن عندى علم بمحاضرة الشيخ ولا وجوده ، فرحل ولم أره ، وكانت إحدى أمانىَّ الكبار أن ألتقى به ، ولم يتحقق لى ذلك إلاَّ بعد زمانٍ طويلٍ وذلك فى أول المحرم سنة (١٤٠٧هـ) وكان قد طبع لى بعضُ الكتب منها : « فصلُ الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ والكتاب » وكنت فى هذه الفترة أتتبع كل أخبار الشيخ ، فكانت تصلُنى أخبارٌ عن شدته على الطلبة وقسوته عليهم ، واعتذاره عن التدريس بسبب ضيق الوقت وإرهاق الدولة له، فكدتُ أفقدُ الأمل حتى قيَّض اللَّه لى أن ألتقى بصهر الشيخ ـ الأخ نظام سكجّها ـ فى فندق بحىّ الحسين بالقاهرة ، فسألتُه عن الشيخ وإمكان التتلمُذ

عليه ، فأخبرنى أن ذلك متعذرٌ ، لكن تعال وجرِّبْ !

فكان من خبرى أننى سطَّرتُ رسالة للشيخ ، قلتُ له فيها : إننى علمتُ أنكم تطردون الطلبة عن بابكم ، ولدىَّ أكثر من مائتى سؤال فى علل الأحاديث ومعانيها ، ولا أقنع إلاَّ بجوابكم دون غيركم ، فسأجمع همتى وأسافرُ إليكم ، فلا تطردونا عن بابكم ، أو كلامًا نحو هذا .

وأخبرنى الأخ نظامٌ بعد ذلك أن الشيخ تألَّم لما قرأ حكاية « الطرد » هذه .

وسافرتُ إلى الشيخ فى أول المحرم سنة (١٤٠٧هـ) ، واستخرجتُ تصريح العمل الذى يُخول لى السفر بأعجوبةٍ عجيبةٍ ، وأمضيتُ ثلاثة أيامٍ فى الطريق كان هوانى فيها شديداً ، ومع ذلك لم أكترث له ، لما كان يحدونى من الأمل الكبير فى لقاء الشيخ .

ولما نزلت عمَّان استقبلنى الأخ الكريم أبو الفداء سمير الزهيرى جزاه اللَّه خيراً ، إذ أعاننى فى غربتى ، وآوانى فى داره ، وبعد الوصول بقليلٍ ، كلَّمنا الشيخ بالهاتف ، فرحَّب بى غاية الترحيب ، وقال لى : حللت أهلاً ونزلت سهلاً ، ولم أصدق أذنى ! ، فأنا ذاهبٌ إليه وقد هيأت نفسى تمامًا على الرضى بالطرد ، إذا فعل الشيخ ذلك .

وقد بدأنى بالسلام ، فرددتُ عليه السلام بمثل ما قال . فقال لى : ما أحسنت الردَّ ! فقلتُ : لم يا شيخنا ؟

فقال لى : اجعل هذا بحثًا بينى وبينك إذا التقينا غداً !

وظللتُ ليلتى أفكرُ فى هذا الأمر ؛ ترى : ما وجهُ إساءتى الردَّ ، حتى خمنت أن الرادَّ ينبغى له أن يزيد شيئًا فى ردِّه نحو : « وعفوه ، ورضوانه » ولم أكن وقفتُ على الحديث الذى قوى الشيخ فيه زيادة « ومغفرته » فى الرد .

وكان الشيخُ يصلى الغداة فى « مسجد الفالوجا » بجوار منزل أبى الفداء ، ولم أذق طعم النوم ليلتى بسبب تأمُّلى المسألة التى طرحها الشيخ ، ولم تكتحل عينى بنومٍ إلاَّ قبيل الفجر ، وراح علىَّ بسبب ذلك لقاء الفجر مع الشيخ ، وكلمناه فى الصباح ، فأعطانا موعداً عقب صلاة العشاء فى منزل أبى الفداء .

وكان لقاءً حارًّا ، بدأنى الشيخ بالعناق ، لأننى لا يمكن أن أبدأه بذلك هيبةً له ، وكان معنا فى هذا اللقاء الأخ الفاضل أبو الحارث على الحلبى حفظه اللَّه ، وجلسنا نحو ساعةٍ ونصف الساعة نسألُ ، والشيخ يجيبُ ، فلما تصرمت الجلسة ، وخرجنا من الدار ، انتحيتُ بالشيخ جانبًا ، وشرحتُ له باختصارٍ ما كابدتُه فى السفر إليه ، ولم يخرجنى من بلدى إلاَّ طلبُ العلم، فلو أذن لى الشيخُ أن أخدمه وأساعده لأتمكن من ملازمته ، فشكرنى واعتذر لى ، نظرًا لضيق وقته. فقلت له: أعطنى ساعة كل يوم أسألك فيها . فاعتذر.

فقلت له : أعطنى ما يسمح به وقتك ولو كان قصيرًا ، فاعتذر !

فأحسست برغبة حارَّةٍ فى البكاء ، وتمالكت نفسى بعناء بالغٍ ، وأطرقتُ قليلاً ثم قلت للشيخ : قد علم اللَّه أنه لم يكن لى مأربٌ قطُّ إلاَّ لقاؤكم والاستفادةُ منكم ، فإن كنتُ أخلصتُ نيتى فسيفتح اللَّه لى ، وإنْ كانت الأخرى ؛ فحسبى عقابًا عاجلاً أن أرجع إلى بلدى بِخُفَّىْ حنينٍ !

وأنا سأدعو اللَّه أن يفتح قلبك لى .

ولست أنسى هذا الموقف ما حييتُ .

ثم التقيتُ بالشيخ فى صلاة الغداة من اليوم التالى ، فقبلتُ يده - وهذا دأبى معه - فقال لى : لعلَّ اللَّه استجاب دعاءك ؛ وكان فاتحة الخير . وكنت أكاد

أوقن أن اللّه سيستجيبُ لى ، وأن الشيخ سيقبلنى عنده ، لا سيما بعد أن قابلت الأستاذ أحمد عطية ـ وكان من معظمى الشيخ قبلُ ـ ، فاستضافنى فى داره وقال لى : لما طُبع كتابُك « فصل الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ والكتاب » اشتريت منه نسخةً وقرأته فأعجبنى أنه على طريقة الشيخ ، وكان الشيخ يقول : ليس لى تلاميذ ـ يعنى على طريقته فى التخريج والنقد ـ قال : فأرسلت هذا الكتاب إلى الشيخ وقلتُ له : وجدنا لك تلميذاً ، وراجعتُ الشيخ بعد ثلاثة أيام فقال : نعم .

قلتُ : لمَّا قصَّ علىَّ الأستاذ أحمد عطية هذه الحكاية ضاعف من أملى أن يقبلنى الشيخ عنده .

ووالله! لقد عاينت من لطف الشيخ بى ، وتواضعه معى شيئًا عظيمًا ، حتى أنه قال لى يومًا : صحَّ لك ما لم يصحَّ لغيرك ، فحمدتُ اللّه عز وجلَّ على جسيم منته ، وبالغ فضله ونعمته .

فمن ذلك أننى كلما التقيتُ به قبلتُ يده ، فكان ينزعها بشدَّةٍ ، ويأبى علىَّ ، فلما أكثر قلتُ له : قد تلقينا منكم فى بعض أبحاثكم فى « الصحيحة » أن تقبيل يد العالم جائز .

فقال لى : وهل رأيت بعينيك عالمًا قطُّ ؟

قلت : نعم ، أرى الآن .

فقال : إنما أنا « طويلبُ علمٍ » ، إنما مثلى ومثلكم كقول القائل :

إنّ البُغَاثَ بِأَرْضنَا يَسْتَنْسِرُ !

وبدأت جلساتى مع الشيخ بعد كل صلاة غداةٍ فى سيارته ، ولمدة ساعة ، ثم زادت المدةُ حتى وصلت إلى ثلاث ساعات .

واستمر هذا الأمر ، حتى جاء يومٌ ولم يُصَلِّ الشيخُ معنا صلاة الغداة ، فحزنت لذلك لضياع هذا اليوم علىَّ بلا استفادةٍ ، واستشرتُ من أثقُ برأيه من إخوانى : هل أذهبُ إلى الشيخ فى بيته أم لا ؟

فكان إجماعُهم أن لا أذهب ، لأنك لا تعلم ما ينتظرك هناك ، ولا يذهبُ أحدٌ إلى الشيخ فى بيته إلاَّ بموعدٍ سابقٍ ، فلربما ردَّك ، فلا يكونُ بك لائقًا ، لاسيما بعد المكانة التى صارت لك عند الشيخ .

وتهيبتُ الذهاب ، ولكن قوَّى من عزمى أمران :

الأول : أن رفيقى آنذاك والذى كان يصحبنى بسيارته الأخ الفاضل الباذل أبو حمزة القيسى جزاه اللَّه خيراً ـ قد أيدنى فى الذهاب .

الثانى : أننى استحضرت قصةً لابن حبان مع شيخه ابن خزيمة ذكرها ياقوتُ بسنده إلى أبى حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى قال : كنا مع أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البُستى ، وكان يسألُه ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بارد ! تنحَّ عنى لا تؤذينى ! أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقيل له : تكتب هذا ؟ قال : أكتبُ كلَّ شىءٍ يقولُه الشيخُ اهـ.

فقلتُ فى نفسى : ومالى لا أفعل مثلما فعل ابنُ حبان ؟ وحتى لو قال لى الشيخ مقالة ابن خزيمة لعددتها من فوائد ذلك اليوم .

وانطلقنا إليه ، وكان من أفضل أيامى التى أمضيتُها فى هذه الرحلة ، فقد استقبلنى الشيخُ استقبالاً كريمًا ، وأمضيتُ معه أكثر من ساعتين ، وكان

يخدمُنا بنفسه ، ويأتينا بالطعام يضعُه أمامنا ، فكلما هممت أن أساعده أبى عليَّ ، ويشيرُ أنِ اجلس ، ويقول : « الامتثالُ هو الأدبُ بل خيرٌ من الأدبِ »

ويعنى به : أن الامتثال لرغبته فى الجلوس خيرٌ من سلوكى الذى أظنُّه أدبًا ، لأن طاعتى له هى الأدب . وكان يومًا حافلاً قصَّ عليَّ الشيخ فيه ما جرى بينه وبين الشيخ محمد نسيب(١) الرفاعى حفظه اللّه .

ولا يفوتنى أن أقول : كنتُ قابلتُ الشيخ نسيب الرفاعى بصحبة الأستاذ أحمد عطية المتقدم ذكرُهُ فى بيته بحى الهاشمى فى عمان البلقاء ، ولقلما رأت عيناى مثله فى تواضعه وأدبه وحُسن خُلقه ، وكان معظمُ كلامه عن الشيخ الألبانى ، وبرغم تقاربهما فى السنِّ إلاَّ أنه كان يبالغُ فى تعظيم الشيخ ، وقال لى : أنا مدينٌ بالفضل لرجلين : الأول : ابن تيمية ، والثانى : الألبانى .

وقال لى : لقد تآزرنا فى نشر الدعوة السلفية فى سوريا ، وكان الشيخ يزورنا فى حلب ، فدخلت علىَّ ابنتى « عائشة » وكانت صغيرة ، فقال لى الشيخُ : لو كانت كبيرة لتزوجتُها وكنت منى بمنزلة أبى بكرٍ من محمدٍ ﷺ ، فانظر ما كان بينى وبينه من الآصرة .

وقرأ علينا أبو غزوان مقدمته لكتابه : « التوصل إلى حقيقة التوسل » وقصَّ علىَّ أشياء ذكرتُها فى « طليعة الثمر الدانى فى الذب عن الألبانى » .

وهو القسم الخاص بترجمة الشيخ الألبانى حفظه اللّه تعالى .

وقد أمضيتُ نحو شهرٍ فى هذه الرحلة ، ولما علم الشيخ بموعد سفرى دعانى

---

(١) ثم توفى رحمه اللّه يوم الأربعاء الرابع عشر جمادى الآخرة سنة (١٤١٣هـ) فاللّهم ارض عنه وتقبّله .

على الغداء عنده فى يوم الرحيل ، وسألنى عن حال السلفيين فى مصر، وسألته عن الطريقة المثلى لنشر الدعوة ، وكيف نواجه المخالفين لنا ، وكان يومًا حافلاً أمضيتُه مع « عميد السلفيين » فى العالم الإسلامى حفظه اللّه وبارك فى عمره .

اعلم - أيها المسترشد - أننى قدَّمت هذا الكلام لأبيِّن الدَّافع إلى تصنيفى كتاب « الثمر الدانى فى الذب عن الألبانى » ، وهو ذبٌّ على وجه الإنصاف ، وحميةٌ محمودةٌ لا تُعدُّ بحمد اللّه من حمية الجاهلية ، فإن حرب « إسقاط الرموز » قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ ، وهى حربٌ خسيسة خبيثةٌ ، يستخدم فيها أصحابُها ما لا يخطر على بالك من الكذب ، والنفاق ، وسوء الأخلاق . وحربُ « إسقاط الرموز » حربٌ قديمةٌ ، وما حديثُ الإفك منك ببعيدٍ . ولم يمر بالمسلمين محنةٌ قطُّ هى أعظم وأشد عليهم من حديث الإفك . ودعنى أبيِّنُ لك الأمر .

فقد أخرج البخارىُّ فى « كتاب النكاح » (٩ / ٢٧٨ - ٢٧٩) ، ومسلم فى « الطلاق » (١٤٧٩ / ٣٤) من طريق الزهرى ، عن عبيد اللّه بن عبد اللّه ابن أبى ثور ، عن ابن عباسٍ قال : « لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللّتين قال اللّه فيهما : ﴿ **إن تتوبا إلى اللّه فقد صغت قلوبُكما** ﴾ فقال عمرُ فى هذا الحديث : « كنتُ أنا وجارٌ لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهم من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبى ﷺ فينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا ، فإذا نزلتُ جئتُه بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى أو غيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك .. ثـــم قال : « قال عمر : وكنا قد تحدثنا أن غسَّان تُنعل الخيل لغزونا ، فنزل صاحبى الأنصارى يوم نوبته ، فرجع إلينا عشاءً ، فضرب بابى ضربًا